

تفريع الشرط الثاني من سلسلة "فقه الأخلاق"

لفضيلة الشيخ "عبد العزيز بن فوزان الفوزان"

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
وحياكم الله في اللقاء الثاني من هذه الدورة التي أسأل الله عزوجل أن يبارك فيها وأن يعم
بنفعها وأن يجعلها عوناً على طاعته ، ذخراً لنا يوم نلقاه إنه على ذلك قدير .

واسمحوا لي أن أرحب بحرارة بإخوتنا الفضلاء من الصم والبكم الذين يشاركوننا في هذه
الدورة وأحيي فيهم والله هذه الروح وهذا الحرص والاهتمام والحرص الشديد على المشاركة
في هذه الدورة والاستفادة منها ، ولم يكتفوا بأن يشاهدوا هذه الدورة عبر البالتوك ، أو
غيرها وإنما تجشموا الصعاب وبعضهم جاء من أماكن بعيدة لكي يحضروا معنا في هذا
المسجد. ثم أرحب أيضاً بفئة أخرى عزيزة على قلوبنا ، وهن الأخوات الفاضلات اللاتي
يشاركننا في هذا الجامع والأخوات اللاتي ينقل إليهن بدءاً من اليوم ، فعاليات هذه الدورة
عبر البالتوك ، فقد أبلغني الإخوة أن عدداً كبيراً من هؤلاء الأخوات يستمعن في إحدى الدور
النسائية وتنقل إليهن الدورة مباشرة . وأنا بدوري حقيقة أطالب الإخوة الذين تفضلوا بإتاحة
هذه الفرصة لهؤلاء الأخوات أن يتيحوا لهن أيضاً فرصة طرح الأسئلة التي تخصهن وألا
يستأثر بهذه الأسئلة معشر الرجال فقط ، وإنما تكون للرجال والنساء مع إخوتنا أيضاً من
الصم وفقهم الله أجمعين لما يحب ويرضى .

البارحة أيها الأحبة بدأنا بالحديث عن موضوع: الدين حسن المعاملة، وقلت لكم إنه
اشتهر عن السنة الناس لفظة الدين المعاملة وهم قطعاً إذا أطلقوها فإنما يريدون بها معنى
الذي ذكرت فهو أن الدين حسن المعاملة، فهي على محذوف مضاف و هو كلمة "حسن"
، حين يقول الدين المعاملة يعني: الدين حسن المعاملة وقلت لكم إنها بهذا اللفظ و هذا

المعنى لا شك أنه معنى صحيح لكنه يجب أن يعلم أن هذا ليس حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ لكن معناه صحيح، دل عليه آيات وأحاديث لا تحصى من الكتاب والسنة ، وقد أشرت إلى شيء منها البارحة وسوف نكمل إن شاء الله البقية هذا اليوم. وقبل أن أسترسل في حديثي أبلغني الأخ المقدم وفقه الله أن أسئلة كثيرة جاءت تسأل عن مرجع لهذه الدورة حول موضوع فقه الأخلاق وفقه التعامل مع الناس ولعل أقرب مرجع في هذا هو كتابي الذي عنوانته باسم "فقه التعامل مع الناس" وهو كتاب مطبوع ومتداول من حوالي سنتين أو أكثر ، ويتبعه إن شاء الله كتاب آخر مكمل له وهو "فقه التعامل مع غير المسلم"، وسوف نتطرق إن شاء الله في شيء من أحكام التعامل مع غير المسلمين في أثناء الحديث بإذن الله ، وإن كنا وقد طرحنا شيئاً منها البارحة كما تعلمون.

* * *

إن الله عزوجل بين منهج التعامل مع الناس في آية جامعة مختصرة ، وهي قوله عزوجل كما في سورة الأعراف **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴿١٩٩﴾ لاحظوا سبحانه

الله ، ما أبلغ هذا القرآن وأحكمه ، **«خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»** قال جعفر الصادق رحمه الله ورضي عنه : وهو إمام من أئمة أهل السنة وإن كان الشيعة كما تعلمون يجعلونه رابع أئمتهم لكنه منهم براء رحمه الله وكان قد تبرأ منهم في حياته ، فهو إمام جليل من أئمة أهل السنة كما كان زين العابدين علي بن الحسين والحسن والحسين وعلى بن أبي طالب وغيرهم من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفاه . يقول جعفر الصادق في هذه الآية : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

سبحان الله لاحظوا : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية على قلة عباراتها ووجازة لفظها بينت أن للإنسان في تعامله مع الناس على اختلاف طبائعهم وأجناسهم وعقولهم، ثلاثة أحوال لا رابع لها: **أما الحال الأول** : فهي قوله : **"خذ العفو"** والعفو معناه : { أخذ ما سهل على الناس وطوعت به نفوسهم وتيسر لهم بذله من أعمالهم

وأموالهم وأخلاقهم ، وأن يترك الاستقصاء عليهم ، والتفتيش عن بواطنهم وأن يلتبس
المعاذير لهم ، وألا يجهدهم ويشق عليهم ، أو يحملهم على الشطط والعنت فيؤذيهم
ويخرجهم } .

يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله : " المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يتتبع الزلات "
المؤمن الموفق أيها الأحبة وهو يتعامل مع الناس سواء كان يتعامل مع والديه أو أولاده أو
زوجته أو جيرانه أو قرابته أو زملائه أو غيرهم من عامة الناس ممن ربما يجتمع معهم في
العمر مرة أو مرتين في شارع أو سوق أو غير ذلك لا بد وهو يتعامل مع هؤلاء الخلق أن يجد
منهم شيئاً يؤذيه أو يحزنه من تصرف غير لائق أو كلمة غير محكمة أو غير مدروسة وغير
مناسبة وأحياناً يرى منهم جهلاً هم اجتهدوا و رأوا أن هذا هو المحقق للمقصود وقد يأتي
بضد ما يراد منه ، أشياء كثيرة، هكذا هم الناس يا أحبة ... لا يمكن أن تجد شخصاً
يكون لك كما تريد في كل شيء ، زوجتك وهي أقرب الناس إليك وحقك عليها أعظم
الحقوق ، وطاعتها لك واجبة من أوجب الواجبات عليها لا يمكن أن تكون لك كما تريد ،
فكيف بولدك أو أبيك أو أمك أو عمك أو خالك أو ذي رحمك أو جارك أو زميلك أو غيرهم
من الناس الأبعد.

والناس تختلف طبائعهم وأمزجتهم وعاداتهم و فهمهم وعقولهم ، إذا كان الأمر كذلك وهو
أن الناس مجبولون على الخطأ والتقصير وفيهم الجهل والغلط ، إذن لا بد أن تلتبس لهم
المعاذير، فتعذرهم ولا تشدد عليهم وتتقصى عليهم أخطأؤهم و هفواتهم، فتخرجهم و
تهلكهم

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * * * ظمئت، وأي الناس تصفوا مشاربه

ثم يقول في بيت آخر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * * * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

لا أحد يمكن أن ترضى جميع سجاياه و طباعه و أخلاقه، لا يمكن، هذه سنة الله عزوجل

في البشر؛ مجبولون على النقص والتقصير، وما من لذة في هذه الدنيا إلا وهي مشوبة بشيء من التنغيص ، واللذة التامة والأنس التام إنما هو للمؤمنين في جنات النعيم.

فإذا كان الأمر كذلك فواجبك ألا تشق على الناس وألا تحملهم مالا يطيقون وما هو خلاف عاداتهم وطبائعهم وقدراتهم، وأن تحرص على التماس المعاذير لهم ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا وجدت من أخيك ما تكره فاحمله على سبعين محملا في الخير فإن لم تجد (يعني بعد السبعين) فياك أن تسيء الظن به فإن لم تجد فقل : لعل له عذرا لا أدريه .

سبحان الله : أين نحن من هذا ؟! حتى في تعاملنا مع أحب الناس إلينا مع والدينا وأولادنا وزوجاتنا و قراباتنا وجيراننا وأصحابنا وأحبابنا ، إذا وجدت من أخيك كلمة عوراء أو تصرفا غير لائق فياك إياك أن تحمله على سوء الظن ، أن تسيء به الظن وأن تحمله على محمل سوء ، إحمل هذا التصرف منه على سبعين محملا في الخير لعله أراد كذا، لعله أراد كذا أو لعله قاله من غير قصد و إرادة أو لعله كان في وضع غير مستقر، كان حزينا ، متأثرا نفسيا، فتصرف تصرفا من غير قصد وعمد من إساءة و الإيذاء وهكذا فالتمس له سبعين محملا في الخير ، يقول فإن لم تجد له في السبعين كلها فياك أن تسيء الظن به ولكن قل : لعل له عذرا لا أدريه ، بعد السبعين كلها. هذا ما يقوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وأن يجاهد نفسه عليه ، فماذا ستقولون أيها الأحبة عن أناس كثير ممن نراهم اليوم في مجتمعات المسلمين يجدون الكلمة تحتل سبعين محملا في الخير ومحملا واحدا في الشر فيطرحون السبعين كلها ويقولون: ما أراد القائل إلا ذاك الشر والعياذ بالله.

وما هذا والله إلا من خبث النفس وسوء النية وخبث الطوية وسواد القلب واستيلاء الحسد والحقده عليه والعياذ بالله ، فتجد نظرتهم للناس – وربما كانوا خيار الناس وأئمتهم من العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله و ولاية أمور المسلمين من الأخيار والصلحاء الذين يبذلون أعمارهم وأوقاتهم وجهودهم لنصرة هذا الدين ونفع عباد الله عزوجل – تجده يحرص على تتبع أخطائهم والتقصي عليهم وتحميل كلماتهم مالا تحتل، فيحملها على أسوأ محمل ،

وهذا شأن أهل النفاق والعياذ بالله ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم محذرا من هذا الصنيع ومبيناً أنه لا يفعله إلا ضعيف الإيمان رقيق الدين وربما كان منافقا خالسا والعياذ بالله قال " يا معشر من آمن بلسانه- لاحظوا- ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته " والعياذ بالله والله يا إخوان إنه لو عيد تقشعر له الجلود المؤمنة وترجف له القلوب الحية رغبة ورهبة ، من يرض منكم أيها الأحبة أن الله عزوجل يتتبع عورته والله إنه لمفضوح مكشوف مهما حاول التخفي والبعد عن أنظار الناس، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته.. فلا تأمن يا أخي إذا كنت تتبع عورة أخيك ، وأنت يا أختي المسلمة إذا تسلطت على أخت من أخواتك تتبعين عوراتها ، وتتقصين أخطائها وهفواتها أن يفضحك الله أو يفضحك الله على رؤوس الأشهاد.

إنك والله لتعجب مما يفعله بعض الناس ممن يزعمون أنهم طلاب علم مع العلماء الراسخين الربانيين والدعاة الصادقين الموفقين ، بجمع أخطائهم وتتبع عثراتهم ، وتكبيرها وتضخيمها وتمطيها ، حتى يجعلوا من الحبة قبة ، ومن الصغير كبيرا ، ومن الحقير جليلا ، وربما والعياذ بالله مددوها بظنونهم السيئة وأهوائهم الفاسدة ، وحقدهم وحسدهم الذي ملأ قلوبهم، حتى جردوا هؤلاء الصالحين والعلماء الموفقين من كل خير ، ووصموهم بكل نقیصة وشر، والعياذ بالله ، وهذا أيضا ما يفعله بعض النساء أحيانا مع جارتها وضرتها وأحيانا مع زوجة ولدها أو الزوجة مع أم ولدها ، أو الجارة مع جارتها في البيت ، أو الزميلة مع زميلتها ، تجد العجب العجيب من الظلم والتجني على عباد الله والعياذ بالله . وسوف نتكلم إن شاء الله عن شناعة الظلم وعن خطورته في هذا الدرس إن شاء الله اليوم وغدا في موضوع آخر ومن جانب آخر .

إذا المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يتتبع الزلات ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم أسوة و قدوة؛

*** تعرفون قصته مع حاتب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه ، خان الرسول صلى الله عليه وسلم وخان الأمة خيانة عظمى ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يغزو غزوة

ورى بغيرها حتى يفاجئ العدو يأخذهم على حين غرة وهذا من الخدعة في القتال ,
والحرب خدعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم , وكان هذا ما فعله لما أراد غزو قريش
في مكة , وعلم حاطب ابن أبي بلتعة أنه يريد مكة , فكتب كتابا إلى بعض زعماء قريش أن
محمدآ آت أو قادم لغزوكم , فخذوا عدتكم.

خيانة! تعد حقيقة خيانة عظمى , فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب
والزبير ابن العوام ورجلا ثالثا معهما إلى مكان معروف بين مكة والمدينة وقال اذهبوا إلى
مكان كذا فستجدون فيه امرأة شمطاء ومعها كتاب من حاطب إلى زعماء قريش فأحضروا
الكتاب , جاءه الوحي من السماء وهذا من معجزاته العظيمة.

يقول علي رضي الله عنه : فانطلقنا تتعادي بنا خيولنا إلى ذلك المكان وكنا نعلم أننا سنجد
فيه تلك المرأة ومعها ذاك الكتاب بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لا ينطق عن
الهُوى , إن هو إلا وحي يوحى, قال فلما أتيناها فإذا بالمرأة تسير على جملها وحدها , فلما
وصلنا إليها طلبنا منها الكتاب فأنكرت فقلنا لها: لتلقين الكتاب أو لننزعن
الثياب....سوف نفتشك...فلما رأته إصرارهم أخرجت الكتاب من عقاصة شعرها , كانت
أخفته في رأسها فرجعوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه كشف السر لزعماء
قريش من صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم , فجيء بحاطب وقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بحضرة عمر وجمع من الصحابة : ما حملك على هذا ؟؟
انظروا يا إخواني التماس المعاذير حتى في حال الخيانة العظمى التي كادت أن تؤثر على
الدولة المسلمة بأكملها وليس شيئا شخصيا يمس النبي وحده و يمس واحدا من عامة
المسلمين قال : يا رسول الله إن لي أهلا و مالا بمكة وليس لي عشيرة يمنعون أهلي
ومالي و يحمونهم بخلاف بقية المهاجرين فأردت بذلك الكتاب أن يكون بذلك يدا لي
عندهم , فيحموا مالي وأهلي....أخذ الضعف البشري سبحانه الله فعصى الله ورسوله بهذه
الخيانة , لا شك انها معصية عظيمة , فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله دعني
أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق...رضي الله عنه ... فعلا يعني معصية ظاهرة مكشوفة ,
وهو اعترف فعلا قال: أنا أذنبت أخطأت لكن أخذني الضعف البشري والخوف على أهلي
ومالي ففعلت ما فعلتفانظروا كيف التمس النبي صلى الله عليه وسلم العذر لحاطب

مع هذه المعصية العظيمة التي فعله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه :
وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم.
يعني هذه السيئة هي مغمورة في بحر حسناته رضي الله عنه ومن حسناته العظيمة مشاركته
في غزوة بدر وبلاءه فيها رضي الله عنه...***

شيء عجب والله يا إخوان في التماس المعاذير للناس والتسامح معهم والتغاضي والتغافل عن
أخطائهم وزلاتهم...ولو أردنا ان نستعرض ما ورد في السيرة في أشياء كثيرة سيطول بنا
المقام...

إذا هذا الأمر الأول الذي نوهت به الآية "خذ العفو" ثم قال :

"وأمر بالعرف" وهذه هي الحالة الثانية التي تجب عليك في تعاملك مع الناس وهو أن
تجتهد في أمرهم بالمعروف وذلك يتضمن أيضا النهي عن المنكر فإن القاعدة عند العلماء أن
المعروف والمنكر إذا اجتمعا يعني ذكرا معا افترقا في المعنى وإذا افترقا ذكر أحدهما دون
الآخر اجتماعا ، صار الأمر بالمعروف يتضمن أيضا النهي عن المنكر والنهي عن المنكر يتضمن
الأمر بالمعروف لأن المنكر ضد المعروف والأمر بالشيء نهى عن ضده ، ولأن بالأمر بالمعروف
النهي عن المنكر أيضا فإذا كان من الأمر بالمعروف الأمر بإقام الصلاة مثلا وبر الوالدين فإن
من النهي عن المنكر النهي عن التهاون في الصلاة والنهي عن عقوق الوالدين
والمعروف كما تعملون هو: كل ما امر الله عز وجل به من الأقوال والأفعال والاعتقادات سواء
كان أمر إيجاب أو أمر استحباب ، كل ما أمر الله عز وجل به سواء كان واجبا أو مستحبا
قولا أو فعلا أو اعتقادا فهو من المعروف فنأمر به ، وأما المنكر : فهو كل ما نهى الله عز
وجل عنه من الأقوال والأفعال والاعتقادات سواء كان نهى كراهة أو نهى تحريم ، كل ما
نهى الله عز وجل عنها سواء كان نهيا جازما أو غير جازما أي ينهى عنه نهى تحريميه أو
نهى كراهة تنزيهه ، فإنه من المنكر فننهى عنه لأن الله عز وجل قد نهى عنه.
"خذ العفو وأمر بالعرف" ، إذا واجبك لتعاملك مع كل الناس بدءا بقربتك وهم أولى الناس
ببرك ونصحك وإحسانك ، وأعظم إحسان تقدمه لهم أن تعينهم على طاعة الله وأن تأمرهم
بالمعروف وتنهاهم عن المنكر كما قال الله عز وجل ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

وانتهاءً بأبعد الناس ممن ابتليت بمعاملته ومخالطته ، وأن تجتهد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كل أحد و في كل حال ، وقد جعل الله عز وجل القيام بهذا الشعيرة المباركة من أخص صفات المؤمنين والمؤمنات يقول الله عز وجل ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ** ﴾ الله أكبر يا إخوان ، العجب ان الله عز وجل وصفهم بالقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل وصفهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، سبحان الله!! مع أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أركان الإسلام ، بل الصلاة هي عمود الدين ولا دين لمن ترك الصلاة ، ومع ذلك قدم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قيامهم بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة لماذا؟؟ قالوا :لأن إقام الصلاة في الغالب نفعه مقصور على صاحبه بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن نفعه متعدد إلى الناس ولأن عاقبة القيام بهذه الشعيرة والتواصي بها صلاح الأفراد والمجتمعات ولأجل هذا قال الله عز وجل: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ أي كنتم خير الناس للناس ، كل الناس مسلمهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم ، لماذا صرتم خير الأمم وخير الناس للناس؟؟ لأنكم تسعون في إصلاحهم وهدايتهم ، تأمرونهم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر ، ثم تأملوا في هذه الآية كيف قدم الله عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله مع انه لا يصح عمل بلا إيمان أليس كذلك؟ لا يصح عمل بلا إيمان ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا** ﴾ أما إذا لم يكن مؤمنا فكما قال الله عن الكفار : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا** ﴾

سبحان الله !كيف قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان؟ مع أنه لا يصح عمل بلا إيمان؛ قال العلماء ليبين أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص شعائر الإيمان ، ومن أعظم مراتب الإسلام والدين ، ولهذا قدمها على غيرها.

سبحان الله! بل إن الله عز وجل يقول ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ ماذا تفهمون من هذه الآية؟؟ "هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" , أي أعلم هذا للناس يا محمد عليه الصلاة والسلام , كل الناس إلى أن تقوم الساعة أن هذا هو سبيلك , كما تسعى في إصلاح نفسك وإقامتها على طاعة الله فأنت تدعو إلى الله على بصيرة وهدى.

"هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فكل من يزعم أنه من أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من أهل الإسلام , فواجب عليه أن يدعو إلى الله على بصيرة , ولهذا فالقيام بهذه الشعيرة العظيمة , والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالأمرء أو العلماء أو أهل الحسبة المعيّنين من قبل السلطان و بل هي واجب على كل مسلم ومسلمة , كل بحسب علمه وقدراته وملكاته وبصيرته في دين الله عز وجل , ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا كل الأمة قال : "بلغوا عني ولو آية" ومن من أهل الإسلام لا يحفظ آية بل آيات من كتاب الله عز وجل ولله الحمد وقال في صحيح مسلم " من رأى منكم منكرا... من، من صيغ العموم اختص فيها لكل المسلمين , "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

إذا هذه أيها الأحبة هي الحال الثانية لتعاملك مع الناس , يجب عليك أن تكون مشعل على هداية , وإمام خير وإصلاح وداعية إلى الله , حيث ما حللت وأينما كنت ومع كل أحد وهذا شأن أهل الإيمان , لأن هذا أعظم إحسان تقدمه إلى أحد من عباد الله , أن تعينه على الاستقامة وأن تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر .

أما الحال الثالثة فقال "وأعرض عن الجاهلين" هذا مع من؟؟ مع الجهلة من الناس وكم يبتلى الناس بأمثال هؤلاء , ليس كل الناس على درجة واحدة من العقل والرزانة والحصافة وهو حسن التعامل واحترام الناس وتقديرهم ومعرفة منازلهم , بل تجد كثيرا من الناس يغلب عليهم الجهل والحمق وسفاهة عقل , فإذا ابتليت بأمثال هؤلاء , ولا بد أن تبتلى بهم , فماذا ينبغي لك أن تفعل؟ هل تقابل جهلهم وسفاهة بمثله وتضييع وقتك في

مطاولتهم والرد عليهم والانتقام منهم؟!.. لا والله يا إخوان! ليس هذا من العقل ولا من الدين، ولهذا قال الله عزوجل: "وأعرض عن الجاهلين" أي: اصفح عنهم ولا تشغل نفسك في مطاولتهم و الرد عليهم ومقابلة جهلهم و سفهمهم بمثله، فوقتك أئمن عليك من أن تشغل نفسك بالرد عليهم وأنت بهذا أيضا توفر راحة نفسك وأعصابك حينما لا تشغل نفسك بمطاولتهم لأنهم لن يقفوا عند حد .

ولهذا وصف الله عزوجل أهل الإيمان وأولي الألباب بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ، ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ ﴾
ولله در الإمام الشافعي رحمه الله حين قال:

إذا نطق السفية فلا تجب *** فخيرٌ من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه *** و إن خليته كمدًا يموت

يا إخواني هذا السفية الأحمق فعلا هو يسر إذا أجبتة و رددت عليه لأنه صار بإمكانه أن يتطاول عليك أكثر و هو أبحش منك لسانا و أقل حياء فيغلبك بالفحش والبذاءة والسفاهة ، ولهذا أفضل حل في التعامل معه أن تتجاهله وأن تعرض عنه كأنك لم تسمع شيئا ولم ترى شيئا فهذا أحسن رد و أحسن جواب ولهذا قال :

فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدًا يموت

وكم ابتلي نبينا صلى الله عليه وسلم بأمثال هؤلاء الجهلة وهم في ذلك القرن الأول الذي هو أفضل القرون...

يأتي إليه ذلك الأعرابي ؛كما في حديث أبي هريرة"قال :كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي من وراء ظهره فأمسك بردائه وكان رداءً يمانيا غليظ الحاشية فجبذه من رداءه جبذة شديدة وقال : يا محمد أعطني من مال الله الذي أعطاك ليس من مال أبيك ولا أمك...

أ هذا أسلوب في الطلب والشحاذة؟! ، بهذه الطريقة.. يقول أبو هريرة رضي الله عنه أو أنس (نسيت الراوي) فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر قد أثرت

فيه حاشية الرداء، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم ثم أمر له بـ"عطاء".

ما قال لما فعلت بي هذا وأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرف الخلق بل أنا رئيس الدولة و أنا الحاكم والسلطان ، كيف تفعل هذا بي وأنت رجل من عامة الناس....، كلا!! يلتفت عليه النبي صلى الله عليه وسلم و قد أساء في القول و في الفعل. و في القول ليس هو أحسن في الطلب و يا ليتته قال يا رسول الله ثم يقول أعطني من مال الله ليس من مال أبيك و لا أمك. تأملوا لو حصل هذا مع واحد منا هل سنعطيه؟ و الله المستعان ، أسأل الله أن يهدينا. لكن النبي صلى الله عليه وسلم يلتفت عليه و يبتسم ثم يأمر له بـ"عطاء". هكذا ينبغي أن يكون تعاملنا مع هؤلاء الجهلة و السفهاء من الناس و يتأكد الأمر إذا كان هذا الجاهل صغير السن. و صغار السن كلهم جهلة لا يزالون سفهاء لم يبلغوا الحلم و الله عز و جل قال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ فكل من لم يبلغ الحلم لا يزال سفيها و ناقص العقل ، ولهذا يا أخي إذا كان ابتليت بأحد هؤلاء الصغار الأطفال سواء كان ابنك أو أخاك أو قريبك أو من أبناء المسلمين و بناتهم، فواجب عليك أن تصبر نفسك و تصبر على جهل هذا الصبي و توسع صدرك في التعامل معه و لا تظن أن الغلظة في معاملته و الشراسة في تأديبه أن هذا دليل على الرجولة و قوة الشكيمة كما يفعله جهلة الناس مع الأسف. فتجدهم و العياذ بالله يعاملون هؤلاء الأطفال بجفاء و غلظة و قسوة ربما لا يتحملها الكبار فكيف بالجهال الصغار و الله المستعان.

*** النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس و معه بنت بنته إذا قام في الصلاة فيضعها

فوق يديه و إذا أراد أن يركع وضعها على الأرض.***

*** يأتيه حسن رضي الله عنه و هو ساجد يصلي بالناس فيركب على ظهره فيطيل النبي

صلى الله عليه و سلم في السجود و يظل ساجدا حتى مل الحسن و نزل، فلما سلم علم

النبي صلى الله عليه وسلم إن الصحابة استغربوا ما الذي حدث كيف طال هذه السجدة

دون غيرها قال: ابني هذا قد ارتحلني جعلني راحلة كأي ناقة أو بعير و إني خشيت أن أعجله أو كرهت أن أعجله وقد كرهت أن أعجله. * * *

سبحان الله يريد أن يعلم الأمة كيف يكون التعامل مع هؤلاء الصغار و الله المستعان. * * * فلذلك لما جاء إليه أقرع بن حابس وهو زعيم من زعماء أبي تميم كما تعلمون و إذا عنده الحسن أو الحسين و كان يقبله عليه الصلاة و السلام فقال له الأقرع : أتقبلون صبيانكم؟ و الله إن عندي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم قط - ولا حول و لا قوة إلا بالله- والله إنه محروم، عشرة أولاد، تصور! ربما بعضهم الآن بالتأكيد جاوز الثلاثين ما قبل واحد منهم قط. أي قلب هذا و العياذ بالله؟ وهذا زعيم من زعماء أبي تميم و أجزم جزما هذا يعد من الرجولة و قوة الشكيمة ولا يليق بالشجاع من الناس و سيد القوم أن يتنازل للصبيان الصغار و يقبلهم، ولا حول و لا قوة إلا بالله، ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : قال له : أو أملك لك إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك؟ * * * سبحان الله!

* * * و في الحديث الآخر لما مات ابن لبنته بين يديه عليه الصلاة و السلام بكى حتى بدأت عيونه تذرف من الدموع فقال له عبد الرحمن بن عوف : و أنت يا رسول الله ! قال : إنها رحمة و إنما يرحم الله من عباده الرحماء . وقال في الحديث الآخر: **”ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.”** * *

يقول ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية **﴿حُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** يقول: ”فلو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم وشفقتهم ؛ فإن العفو ما عفي من أخلاقهم وسمحت به طبائعهم ووسعهم بذله من أموالهم وأخلاقهم فهذا ما منهم إليه وأما ما يكون منه إليهم فأمرهم بالمعروف وهو ما تشهد به العقول وتعرف حسنه وهو ما أمر الله به وأما ما يتقى به أذى جاهلهم فالإعراض عنه و ترك الانتقام لنفسه والانتصار لها. فأى كمال للعبد

وراء هذا وأي معاشرة وسياسة لهذا العالم أحسن من هذه المعاشرة والسياسة فلو فكر الرجل في كل شر يلحقه من العالم أعني الشر الحقيقي الذي لا يوجب له الرفعة و الزلفى من الله وجد سببه الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها" هكذا يقول ابن القيم لو فكر الإنسان في أي شر يلحقه في هذا العالم لوجد سبب هذا الشر الذي لحقه هو الإخلال في هذه الثلاثة أو بعضها. : "وإلا فمع القيام بها فكل ما يحصل له من الناس فهو خير له وإن كان شرا في الظاهر، فإنه يتولد من الأمر بالمعروف و لا يتولد منه إلا الخير وإن ورد في حالة شر وأذى." و والله أيها الأحبة لو لم يرد في فضل حسن الخلق و الإحسان إلى الناس والتلطف معهم إلا آية التي في سور آل عمران، لكانت كافيه ألا وهي قول الله عزوجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۚ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ ﴾

الله أكبر! ما أجلها هذه الآية؛ فيما رحمة من الله لنت لهم أي :بسبب رحمة الله لك وتوفيقه إياك صرت رحيمًا بهم رفيقًا في التعامل معهم وهذا يدلُّك يا أخي ألا أن حسن الخلق من أعظم نعم الله على العبد و من أكبر مظاهر رحمته لهذا الإنسان ثم قال وهو العجب :ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" لمن يقال هذا يا إخوة؟! يقال لرسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذي جمع الله عزوجل له كل مقومات المحبة والقبول بل جعل محبته صلى الله عليه وسلم مقدمة على محبة النفس والأهل والمال والناس أجمعين، وهو الذي جمع الله عزوجل له من كمالات البشرية ما لم يجتمع لغيره من البشر، فهو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وخير من مس الحصا وحملته المطايا و هو عليه الصلاة والسلام ارفع الناس نسبا و أكرمهم أصلا وأجملهم مظهرا ومصدرا وأرجحهم رأيا و عقلا وأصدقهم كلاما وأحسنهم بيانا بل لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام ،إن هو إلا وحي يوحى وهو أيضا مع ذلك أبلغ الناس حجة وبرهانا وأتقاهم لربه عزوجل سرا

وجهارا وأعلامهم منزلة ومكانة وأنداهم يدا و أسخاهم نفسا و أعظمهم بذلا و عطاء ،هو مع ذلك كله رسول رب العالمين وصفيه و خليله و هو أيضا رئيس الدولة و قاضيهها و قائده.. وأصحابه...من هم؟ إنهم أفضل هذه الأمة بعده وأصدق الناس محبة له عليه الصلاة والسلام ومع ذلك يقال له :”ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.“
يا سبحان الله! يا لله العجب!معقول هذه المقومات لرسول الله صلى الله عليه وسلم و مع هذه المكانة لأصحابه أيضا وشدة محبتهم وتوقيرهم له ،يقال له :ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك“؟كيف بغيره إذاً من البشر وهم والله دونه بمراحل كثيرة وليس لهم من مقومات المحبة والقبول و وجوب السمع والطاعة ما جعله الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فما أحوجهم إذاً وما أحوجنا أيها الأحبة إلى ترك الفظاظة و الغلظة والبعد عن الجفاء و القسوة و الحرص على استعمال الرفق و اللين.

ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يبايع أصحابه على القيام بحقوق الله وحقوق عباده وعلى الإحسان مع الله ومع الناس.ولعلكم جميعا تعرفون حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه و هو في الصحيحين قال: ”بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم“.

انظر، إقام الصلاة و إيتاء الزكاة ،هذا قيام بحق الله وعنوان القيام بحق الله و النصح لكل مسلم ،هذا هو القيام بحقوق الناس.والنصح للناس معناه: الاجتهاد في بذل الخير لهم وإيصال ما أمكن من المعروف إليهم بكل ما يستطيعها الإنسان من قول أو فعل.

ومن الأصول العظيمة في هذا الباب الذي نتحدث عنه :

حديث أبي ذر و معاذ بن جبل رضي الله عنهما : "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن عالماً ومفقهً وقاضياً، قال له : اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " سبحان الله ! هذا أيها الأحبة حديث عظيم الشأن ، جليل القدر، قد جمع على قلة عباراته و وجازت ألفاظه بيان : واجب العبد تجاه ربه و واجبه تجاه نفسه و واجبه تجاه الناس.

أما واجبه تجاه ربه فهو قوله : اتق الله حيثما كنت واجب العبد تجاه الله عزوجل أن يتقيه بصدق في السر والعلن والخلوة و الجلوة ، وفي كل مكان وزمان..

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا * * * تقل خلوت ولكن قل : عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * * * ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وإذا خلوت بريئة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

* * *

فاستحي من نظر الإله وقل لها : إن الذي خلق الظلام يران

المؤمن المتقي الصادق هو الذي يستحي من الله بصدق ويراقبه في خلوته وجلوته وسره وعلا نيته ، ولا يجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليه بخلاف أقوام قال الله عز وجل عنهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرَوْنَ مِنْ آلَ قَوْلٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ ، يا سبحان الله ! يستحون من الناس و يراعونهم ويخافون منهم لكنهم لا يستحون من الله و لا يخافون منه ولا يرجونه والعياذ بالله، فجعلوا ربهم أهون الناظرين إليهم فهو كما قال : وكان الله بما يعملون محيطاً " أحاط بهم علماً وسمعاً وبصراً وإرادةً وقدرة ، فكيف إذاً لا يستحون منه ولا يخافونه ولا يرجونه ولا يُعظمونه سبحانه وهو الذي يعلم السر وأخفى، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ، ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكَ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِأَلِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ فهو عز وجل لا تخفى عليه خافية ويستوي عنده ظاهر الأمر وباطنه وسره وعلا نيته .

أما واجبه تجاه نفسه : فهو أن يُقيمها على طاعة الله عز وجل . ولهذا قال : وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، واجبك تجاه نفسك أن تُجاهدها على القيام بطاعة الله عز وجل والوقوف عند حدوده وعدم انتهاك حُرُماته سبحانه ، فإذا فرطت منك السيئة وغلبتك نفسك الأمانة بالسوء أتبعته هذه السيئة بالحسنة التي تزيل أثرها من القلب وتمحوها من ديوان الحفظة فإن الخير يرفع الشر والنور يزيل الظلمة والمرض يعالج بضده والحسنات يُذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين كما قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾

*** وهذه الآية نزلت في رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال يا رسول الله إني قبلت امرأة لا تحل لي فطهرني ؟ فقال أصليت معنا ، قال : نعم . النبي صلى الله عليه وسلم لم يجبه بنعم ، فقال فطهرني ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعاد عليه ولم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما صلوا تغشاه عليه الصلاة والسلام الوحي ، فقال أين الرجل فقال ها أنا ذا يا رسول الله ، فتلا عليه الآية : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ فقال يا رسول الله ألي خاصة ؟ قال بل لكل من عمل بها من أمتي . ***

فإذا وقعت في معصية كبيرة كانت أو صغيرة فاجتهد بفعل الطاعات والقربات لعل الله عز وجل أن يغفر لك ويتجاوز عنك . أما واجب العبد تجاه الناس ،
فعرضنا أولاً :

واجبه تجاه ربه : " اتق الله حيثما كنت " ،

وواجبه تجاه نفسه : " واتبع السيئة الحسنة تمحها " ،

وأما واجبه تجاه الناس : فهو قوله : " وخالق الناس بخلق حسن " ، يا سبحان الله هذه بمعنى قول الله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ، التي تحدثنا عنها البارحة ، النبي صلى الله

عليه وسلم لم يقل وخالق المسلمين بخلق حسن قال: وخالق الناس أي كل الناس مؤمنهم وكافرهم وبرهم و فاجرهم وقريبهم وبعيدهم ومن تعرف ومن لا تعرف ، ينبغي أن تكون حسن الخلق وطيب المعاشرة ، سمحاً ، سهلاً ، طلق المحيى مع كل أحد لماذا ؟ لأنك أيها المسلم صاحب رسالة سامية وهدف عظيم تريد هداية الناس وأمرهم بالمعروف نهيهم عن المنكر وإصلاحهم ولا سبيل يُعينك في نجاح هذا المقصد وتحقيقه مثل المعاملة الطيبة وحسن الخلق وخالق الناس بخلق حسن ، ومعناه أن يعاملهم بالحسنى ويعاشرهم بالمعروف فيحرص على الإحسان إليهم والنصح لهم وكف الأذى عنهم وأن يتحمل الأذى وأن يحرص على إيناسهم وإدخال السرور عليهم وأن يكون طلق المحيى ، باسم الثغر، لئِن الجانب، نديّ اليد ، لطيف المعاملة، أليفاً ، مألوفاً ، رقيقاً ، عطوفاً ، عفيفاً ، شريفاً ، هذا مما ينبغي أن يكون كل مسلم ومسلمة أيها الأحبة.

وبخاصة من يتصدى للدعوة إلى الله وتعليم الناس الخير؛ أذكر أحد المشايخ الفضلاء وفقه الله أنه عُرف بتقطيب الجبين و تعبيس الوجه. وكان شيخاً فاضلاً لكن سبحان الله زين الله له سوء عمله في هذا الباب، ربما كان يظن أن عدم الابتسامة وطلاقة الوجه أنها تدل على القوة والرجولة ولهذا كان معروفاً بين طلابه أنه لا يبتسم ، ما عدا مرة واحدة ابتسم فيها، فصار يؤرخ بها فبدأ الناس كلهم يتناقلون إن فلانا رأيناه قد ابتسم!!

أهذا من أخلاق أهل الإيمان أيها الفضلاء ، أهكذا كان رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟ يقول أحد الصحابة رضي الله عنه في الحديث الصحيح يقول "لم يكن أحد أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان أكثر الناس تبسماً مع أنه عليه الصلاة والسلام على عاتقه من المهام والمسؤوليات الجسام ما لا تُطيقه الجبال ، هو رسول رب العالمين وهو السلطان ورئيس الدولة وقائد الجيش والقاضي و مُستقبل الوفود و عنده تسع زوجات والناس يأتونه من كل حذب وصوب على اختلاف عاداتهم و طبائعهم و عقولهم ومع ذلك كان أكثر الناس تبسماً!

وبعض الناس مع الأسف وأحياناً من الدعاة وأهل الخير والصالح يشح بالبسمة وطلاقة الوجه مع إخوانه وأحب الناس إليه دعك من عامة الناس ومن لا يعرف ، وهذا والله من أعظم الحرمان ، حرّموا الأجر وحرّموا محبة الناس وتقديرهم والفهم لهم.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول " لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاط بوجه طليق " ، لا يكلفك شيئا يا أخي وبهذه البسمة التي تكلف شيئا تكسب محبة الله عز وجل ومحبة الناس ويقول عليه الصلاة والسلام " وتبسمك في وجه أخيك صدقة " و لكنه الحرمان.

وينبغي يا إخوان أن نتربي على ذلك ونربي عليه أهلنا وطلابنا واخواننا ، لماذا العيوس يا أخوة وتقطيب الجبين و إذا رأيت بعض الناس كأنه عدو لك وهو ليس في قلبه شيء عليك ولكن سبحان الله لم يعود شفتيه على الابتسامة وطلاقة الوجه، ثم يا أخي الناس كلهم يُعانون من المصائب والبلايا والمشاكل مالا يخفى عليكم فالناس ممتحنون مبتلون بأنواع من البلايا و المصائب فإذا ابتسمت يا أخي في وجه أخيك وكنت تطلق المحيى في التعامل معه أدخلت السرور على نفسك وخففت عنه وسريت عنه فلماذا تحرم أخاك هذا الخير وتحرم نفسك الأجر.

وهنا يرد سؤال مهم جدا أليست مخالقة الناس بخلق حسن جزء مهم من التقوى ، فلماذا أفردا بالذكر ونص عليها من بين سائر شعب التقوى؟ لماذا لم يكتفي بقوله عليه الصلاة والسلام (اتق الله حيثما كنت وابتع السيئة الحسنة تمحها)؟ أليست مخالقة الناس بخلق حسن جزء من التقوى لماذا أفردا بالذكر؟ ، ولم يقل حافظ على الصلاة أو الزكاة أو قراءة القرآن أو غيرها من الطاعات والعبادات العظيمة نص فقط على مخالقة الناس بخلق حسن ما السبب ؟

هناك سببان رئيسان مهمان:

السبب الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم خصّ حسن الخلق بالذكر اهتماماً بشأنه وتنوياً لعظيم قدره ومكانته عند الله عز وجل.

السبب الثاني : لشدة الحاجة إلى بيان هذه الحقيقة ، فإن كثير من الناس مع الأسف الشديد يظن أن التقوى هي معاملة الخالق دون المخلوق والقيام بحقوق الله عز وجل دون حقوق عباده وما أكثر هذا الصنف من الناس وبخاصة في هذا الزمن يا سبحان الله ، بل تجد بعض الناس قد عرف عنه محافظته على الصلاة وأنه صاحب صيام بالنهار وقيام بالليل لكن تعال إليه وهو يبيع ويشترى ، أو يتعامل مع الناس في وظيفته أو عمله تجده

مع الأسف الشديد من المفلسين وهو بسوء المعاملة والغش والمخادعة يُحبط أجر صيامه وصلاته وأعماله الصالحة من حيث يشعر أو لا يشعر.

واستمعوا لما يقوله ابن رجب رحمه الله حول هذا الحديث -وخالق الناس بخلق حسن - ، قال رحمه الله: "هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى إلا به وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه فإن كثيراً من الناس - تأملوا هذا ما يقوله ابن رجب عن أهل زمانه - قال : فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس فإنه كان قد بعثه لليمن مُعلماً لهم ومفقهياً وقاضياً ومن كان كذلك . - أي يتصدى لمخالقة الناس والقضاء بينهم - ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به ولا يخالطهم ، ثم يقول وهو العجب ، وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والإنعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها ،- يا سبحان الله فهمتم ما يقوله ابن رجب -، وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والإنعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً لا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين" نسأل الله أن يجعلنا منهم أجمعين ، وإذا كان هذا ما يقوله ابن رجب رحمه الله عن أهل زمانه فماذا عساه أن يقول لو رأى زماننا اليوم.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات